الأستاذ: بكاي ميلود جامعة الجلفة

## تعاطي المخدرات كمظهر من مظاهر المغايرة الاجتماعية

تتكفل المعايير الاجتماعية بتحديد السلوك المتوقع في المواقف الاجتماعية،وهو عادة يكاد يكون السلوك المثالي،وتتوقع الجماعة من كل أعضائها الالتزام بمعاييرها،وهذا الالتزام أو عدمه يجازى عليه الفرد ثوابا أو عقابا،أي أن السلوك السوي الذي يساير المعايير تباركه الجماعة وتعززه،بينما السلوك المخالف أو المنحرف لا تباركه الجماعة ويكون جزاؤه العقاب الاجتماعي(حامد عبد السلام زهران،1977 ،121).

وتعتبر مسايرة المعايير أو مغايرتها أحد الثنائيات في علم الاجتماع،حيث تشير الثنائية إلى المتغير الذي لا تكون له إلا قيمتان ممكنتان فقط, فالجنس مثلا،متغير ثنائي لأنه يشير إلى فئتين هما الذكر والأنثى. كما تتضمن الثنائية مفردتين أو (مصطلحين)كل منهما يشير إلى مدلول يتم نحته في سياق الواقع الاجتماعي،أو التطورات الاجتماعية.كما أن كل ثنائية مزدوجة تمثل انشطار المصطلح الاجتماعي إلى مزدوجتين مترادفتين أو متنافيتين أو متناقضتين(معن خليل العمر، 2001، 19)

فالمسايرة والمغايرة كثنائية تعتبران انشطارا لمتغير يصف ظاهرة تخص سلوك الفرد،تجاه معايير الجماعة التي ينتمي إليها.هذه المعايير الاجتماعية التي يمكن من خلالها تصنيف مظاهر السلوك من حيث السواء والانحراف،الصواب والخطأ،القبول والرفض (عبد السلام الدويبي،1998 ،94).

عندما نتكلم على ذلك الجانب من السلوك الاجتماعي للفرد،وهو جانب المسايرة والمغايرة نقصد به التنوع السلوكي،الذي يصدر عن الفرد في

الجماعة،صغيرة كانت أم كبيرة. عندما تمارس هذه الجماعة عليه ضغطا،الأمر الذي يدفعه إلى تغيير وضعه نحو اتجاه الجماعة( Serge Moscovici,1984,27)،أو عندما يكون هناك صراع،بين القوة الداخلية عند الفرد،وبين الضغوط التي تصدر من الجماعة أو المجتمع التي تحاول دفعه إلى أن يدرك،أو يحكم،أو يقوم،أو يعتقد،أو يتصرف في اتجاه مخالف لذلك الذي توجهه إليه تلك القوة الداخلية عنده.

وقد تكون الضغوط التي تمارسها الجماعة لتحقيق اتفاق عام،أو مسايرة بين أعضائها ضغوطا واضحة،ظاهرة،صريحة عندما تعلن الجماعة ويكون معلوما لدى الجميع،أن الاتفاق مطلوب وربما صاحب هذا الإعلان أو التصريح،تهديد بالعقاب أو نوع من القهر.وقد تكون هذه الضغوط مستمرة ضمنية،غير مباشرة،إلاّ أن الفرد يدركها ويتأثر بها وربما كان التأثر بهذا النوع المستمر غير المباشر من الضغوط،أكثر عمقا وتحديدا لاتجاهات الفرد وقيمه وأحكامه.

فجوهر المسايرة إذن هو الصراع بين القوى الداخلية عند الفرد وضغوط الجماعة عندما يخضع الفرد لتلك الضغوط الصريحة أو الضمنية،فإن ما يميز سلوكه هو المسايرة إذن فالمسايرة عكس الانحراف( Raymond Boudon,1999,43)وعندما يترع إلى الاستقلال أو مقاومة هذه الضغوط فإن سلوكه يتميز بالمغايرة.طرفان متباعدان في مواجهة ضغوط الجماعة،ولكن بين هذين الطرفين مستويات وأبعادا شتى من السلوك نوضحها فيما يلي:

*- المسايرة المفرطة: وفي هذا النوع من المسايرة يسلم الفرد ذاته كلية للجماعة ولا يكاد يمارس أدنى مخالفة،بل قد يستمسك بعقائدها ويتبنى اتجاهاتها

بدرجة كبيرة من التعصب والتصلب،حتى بعد أن تغير الجماعة عقائدها واتجاهاتها.

*- المسايرة: والمقصود بها أن يحكم الفرد ويعتقد ويتصرف،متفقا مع أحكام وعقائد وتصرفات الجماعة. في هذا المستوى يستجيب الفرد لضغوط الجماعة بالتحرك في الاتجاهات المشابهة لها،دون ما تطرف أو مغالاة كما في المسايرة المفرطة،ودون ما تضاد أو تنافر بين ما يظهر وما يبطن.

*- المسايرة الظاهرية أو النفعية: وفي هذا المستوى نجد أن الفرد يتفق مع الجماعة ظاهريا بينما يبقى مختلفا عنها داخليا.ويختلف هذا المستوى عن المسايرة السابقة في أنه لا يتوافر فيه الاتفاق داخليا وخارجيا،أي لا يكون فيه تطابق بين ما يبديه الفرد وما يخفيه والمسايرة الظاهرية أو النفعية مؤقتة وموقوتة وغير مستقرة،لأن الفرد يعود إلى سابق أحكامه وعقائده الخاصة والمخالفة للجماعة عندما يخلو إلى نفسه،أو عندما يزول عنه ضغط الجماعة.

*- اللامسايرة: ويشير هذا المستوى إلى تجنب المسايرة،أو الحياد في مواجهة أحكام الجماعة وعقائدها ومعاييرها وتصرفاتها.هنا لا يساير الفرد ولا ينصاع،كما أنه لا يقف ضد ضغوط الجماعة.

*- المضادة: في هذه الحالة يقف الفرد متحديا للجماعة،ومعارضا إياها بشكل إيجابي حيث أنه لا يقاوم ضغوط الجماعة عليه فحسب،بل يسعى إلى توسيع شقة المخالفة بينه وبينها. ويتميز موقفه هذا من الجماعة بالعداء والعناد،والخروج المقصود على ما تتعارف عليه.أي تكون الجماعة بالنسبة إلى المضاد أو الخارج عليها.

*- الاستقلال: ويتميز هذا المستوى عن المسايرة والمضادة،بأن الفرد هنا يقرر بنفسه ولنفسه مسار حكمه وعقيدته وتصرفه،من غير أن يخضع ويستسلم

للجماعة ولا يتمرد عليها،أي أن موقفه يتميز بإيجابية أكبر منه في حالة اللامسايرة.

*- الاغتراب: عندما لا يستطيع الفرد أن يساير فيخضع لضغوط الجماعة،ولا أن يقف موقف المضادة أو المقاومة أو المعارضة،ولا موقف الاستقلال،ولا أن ينصاع لضغوطها ظاهريا ويخالفها داخليا،ولا أن يثبت على موقف حياد إزاءها،عندئذ يحدث الاغتراب الذي يتضمن ثلاثة مكونات أولها انعدام المعيار ثم انعدام السلطة،والعزلة الاجتماعية. وقد أجريت دراسات أبرزت بالفعل ارتباطا عاليا بين هذه المكونات،مما يؤيد أن الاغتراب قد يكون نتيجة لانعدام السلطة والعزلة الاجتماعية (سيد أحمد عثمان،2002، 100).

وعليه وعلى اعتبار أن الاغتراب هو أقصى حدود المغايرة الاجتماعية فإنه يمكننا التساؤل حول علاقة الإدمان على تعاطي المخدرات بالمغايرة الاجتماعية منطلقين من التساؤل التالي:هل يعد تعاطي المخدرات مظهرا من مظاهر المغايرة الاجتماعية؟

يعد الاغتراب بما يتضمنه من شعور بالعجز،والعزلة الاجتماعية،واللامعنى واللامعيارية،أحد العوامل الأساسية المسؤولة عن الإقدام على تعاطي المخدرات أو المواد المؤثرة في الأعصاب،ويمكن النظر إلى الاغتراب أو المغايرة الاجتماعية كمناخ مهيء للعديد من المشكلات والاضطرابات ومن أبرزها تعاطي المخدرات .

وهذا انطلاقا من الدراسات العديدة التي كشفت عن وجود علاقة بين الاغتراب وصور الانحراف بوجه عام،وتعاطي المخدرات بوجه خاص.وهي صور تمثل استجابات لخبرة الشخصية المغتربة،بشعورها بالعجز،واللامعنى

والعزلة،وتبين أن الاستخدام المتزايد للمخدرات،إنما يمثل معيارا لتزايد حالات الاغتراب في المجتمع،حيث يمثل التعاطي رفضا للمجتمع وتمردا عليه.(عبد اللطيف محمد خليفة،2003 ،158)

يمكن القول إن الاتجاه نحو تعاطي المخدرات ما هو إلا استعداد نفسي وعصبي نحو موضوع المخدرات، يتكون لدى الفرد بعد مروره بعدة مراحل، منتهياً بالإجراء السلبي أو الإيجابي الذي يقوم به الفرد، إذ يصبح الشخص كارهاً لهذا الموضوع نافراً منه، أو يكون على النقيض من ذلك، أو يكون بين هذين النقيضين(محمد جعفر محمد،1999،348) فبين الانغماس،أو الاستمرار على تناول المخدرات، يجد الفرد نفسه بعد الانتقال من حالة التعود إلى حتمية الإدمان أنه بمواجهة حالة جديدة من المعاناة،مؤداها التوتر والقلق الذي بات على أساسها – تدريجيا – أسيرا للمادة التي يتناولها.وأن آلامه الناتجة من الابتعاد عن تناول المخدرات التي أدمن على تناولها أشد أثراً في نفسه من آلام كان يعتقد في بداية طريقه إلى الإدمان أنه غير قادر على تحملها.

لقد توصلت "إيمان عبد الله البنا"(1991) في دراستها للعلاقة بين الاغتراب وتعاطي المواد المخدرة لدى طلبة الجامعة وأوضحت نتائج الدراسة أن المتعاطين أكثر اغترابا بالمقارنة بغير المتعاطين،حيث تزايدت درجات المتعاطين بشكل جوهري،كما تزايدت أنواع الاغتراب الثلاثة وهي الاغتراب عن الجامعة والاغتراب عن الذات والاغتراب الاجتماعي.

وتشير نتائج الدراسة التي قام بها "أمير" (1994) على عينة من متعاطي المخدرات إلى أن هناك ارتباطا ايجابيا بين التعاطي والاغتراب،حيث حصل المتعاطون على درجات مرتفعة في الاغتراب مقارنة بغير المتعاطين.

وتصل "توماس" (1997) إلى أن متغيرات الشخصية مثل الاغتراب والقلق والغضب والدافعية،تقوم بدور مهم كعوامل مهيئة لتعاطي المخدرات وكشف "جاكسون" (1998) عن ارتباط الاغتراب بكل من العنف وتعاطي المخدرات وأسفرت نتائج دراسة "سوليفان" و"برمز"(1997) عن وجود علاقة بين اغتراب الذات وتزايد معدلات الانتحار وتعاطي المخدرات والعنف .وقد حاول "جوزيكوف" و"زوبنيف" تفسير العلاقة بين الاغتراب وتعاطي المخدرات في ضوء عدم الانسجام أو التناقض في شخصية المتعاطين للمخدرات حيث يعد هذا التناقض بمثابة مقدمة للسلوك العدواني والانحراف والإدمان.وتتفق هذه النتائج مع ما توصل إليه "أمان محمد محمود" (1994) في دراسته للاغتراب وضعف الأنا ووجهة الضبط لدى مدمني المخدرات.(عبد اللطيف محمد خليفة،2003، 159)

إضافة إلى كل هذه الدراسات كشفت العديد من الدراسات الأخرى عن الارتباط بين الشعور بالاغتراب وتعاطي المخدرات والتي لا يتسع المجال لذكرها جميعا وعليه وكمحصلة لهذه النتائج،نصل إلى نتيجة مفادها أن هناك علاقة واضحة بين الاغتراب الذي يجسد صور المغايرة الاجتماعية وبين الإقبال على تعاطي المخدرات.

من خلال ما سبق من تفصيل لطبيعة المعايير الاجتماعية والاتجاه نحوها أما مسايرة أو مغايرة وتوضيح لمستويات المسايرة التي تتدرج حتى تصل إلى ما يسمى بالاغتراب الذي يمكن التعبير عنه بواسطة مفهوم المغايرة الاجتماعية يمكننا أن نؤكد على أن تعاطي المخدرات يعد مظهرا من مظاهر المغايرة الاجتماعية.

ففهمنا لخصائص متغير المغايرة سوف يعيننا دون شك في إيجاد الحلول لمشكلة المخدرات،فالعمليات النفسواجتماعية لدى الأفراد المتعاطين والتي من الممكن أن نتوصل إلى تفكيكها من خلال عمليات المغايرة الاجتماعية يمكنها أن تكون علاجا لهذه الظاهرة وهو هدفنا من الربط بين الظاهرتين ومن خلال هاته الورقة.من اجل الحفاظ على شبابنا الذين يعدّون الأكثر قربا من هذه الآفة انطلاقا من خصوصية المرحلة العمرية التي يمرون بها متمثلة في مرحلة المراهقة.

وهو ما يبرر التخوف من الجريمة في أكثر مجتمعات العالم ينحصر في منظومة من الأعمال الجرمية مثل السرقة والسلب والاعتداء والاغتصاب وجرائم الشوارع والأزقة التي يعتقد أن مرتكبيها في أغلب الأحيان هم من الذكور الشباب الذين ينتمون إلى الطبقات الشعبية والكادحة. وكثيرا ما تركز وسائل الإعلام الجماهيري على ما تسميه(الانحطاط الأخلاقي) وانهيار القيم في أوساط الشباب مع التركيز على ممارسات معينة مثل تعاطي المخدرات والهرب من الدراسة والفوضى وأعمال النهب،كما أن بعض من يرون أنفسهم مسؤولين عن الأخلاق يعتبرون ذلك كله دليلا على الانحلال الخلقي والتفكك الاجتماعي.(أنتوني غدنز،2001 ،296)

ولا يعتبر الربط بين الشباب والجريمة أمرا جديدا بالنسبة إلى علماء الاجتماع لأن أوضاع الشباب في المجتمعات الحديثة هي المؤشر الأساسي على مستويات الصحة والعافية والرفاه في المجتمع. وتشير تقديرات عادية وإحصاءات رسمية إلى أن معدل الجريمة يرتفع بشكل واضح في أوساط الشباب عما هو عليه في فئات اجتماعية عمرية أخرى. وذلك ما تدل عليه البيانات الرسمية في بريطانيا على الأقل ولا سيَّما بالنسبة إلى الشباب الذين يبلغون الثامنة عشرة من العمر،أي المرحلة التي يفترض أن يكونوا فيها قد أنهوا تعليمهم

الثانوي.

**المراجع باللغة العربية:**


01. أنتوني غدنز،ترجمة فايز الصياغ،**علم الاجتماع**،المنظمة العربية للترجمة،لبنان 2001.

02. حامد عبد السلام زهران ،**علم النفس الاجتماعي**، الطبعة الرابعة، عالم الكتب القاهرة،1977.

03. معن خليل العمر،**ثنائيات علم الاجتماع**،الطبعة الأولى،دار الشروق ،عمان 2001.

04. عبد السلام الدويبي،**التمهيد في علم النفس الاجتماعي**،الطبعة الأولى منشورات جامعة الفتح إدارة المطبوعات والنشر،طرابلس،ليبيا،1998.

05. عبد اللطيف محمد خليفة،**دراسات في سيكولوجية الاغتراب**،دار غريب ،القاهرة،2003

06. سيد أحمد عثمان،**علم النفس الاجتماعي التربوي**،مكتبة الانجلو مصرية القاهرة، 2002.

07. محمد جعفر محمد جمل الليل، **العلاقة بين الاتجاه نحو تعاطي المخدرات والمسايرة وارتباطهما ببعض المتغيرات لدى طلاب وطالبات الجامعة**،كلية التربية،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،1999.

08. مصطفى سويف،**المخدرات والمجتمع**،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1996.

09. ريتشارد شاخت،ترجمة:وهبة طلعت أبو العلا،**مستقبل الاغتراب**،منشاة المعارف،الإسكندرية،2001.

**المراجع باللغة الأجنبية:**

**01.** Raymond Boudon,**DICTIONNAIRE DE SOCIOLOGIE,**Lar- ousse,Paris,1999.

**02.** Serge Moscovici,**PSYCHOLOGIE SOCIAL**,Presses universi- taires de France,1984.